

المحاضرة الثالثة عشر : المفكرون العرب المتأثرون بالاستشراق :

يعتبر طه حسين من أكثر المفكرين تأثراً بالاستشراق وتقليداً لهم فقد حرص على نشر الكتب نشر الكتب التي تثير الشبهات مثل: "رسائل إخوان الصفا" و "ألف ليلة وليلة" وعنايته بدراسة سير المُجَّان من الشعراء في كتابه "حديث الأربعاء"، ومما قاله طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي": « إن القرآن تعبير عن الحياة التي عاش فيها محمد بما فيها المكان والزمان وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية»، وهو في ذلك متأثراً بالمستشرق "هاملتون جب" الذي يقول في كتابه المذهب المحمدي: « إن القرآن انطباع في نفس محمد نشأ عن تأثره بيئته التي عاش فيها، بمكانها وزمانها، ومظاهر حياتها المادية والروحية».

ومن الباحثين العرب المتأثرين بأفكار المستشرقين الباحث سلامة موسى الذي كتب عن صلاح الدين الايوبي واتهمه بقتل الفقهاء الكبار وذكر منهم السهروردي، وننقل عنه قوله: « يجب ألا ننسى أن السهروردي قتل بأمر صلاح الدين الأيوبي... فقد كان رجلاً كردياً غير مثقف، فاستطاع الفقهاء أن يؤثروا فيه، ويزينوا له قتل السهروردي «، وفي الواقع فإن سلامة موسى انما اخذ عن المستشرق "كوربان" الذي اراد انكار بطوله صلاح الدين ونبله ومرؤته فاتخذ من هذه الحادثة مدخلا على هذه الشخصية التاريخية للطعن فيها.

ولم يتوقف تأثر سلامة موسى بالمستشرقين عند حد التأثر بأرائهم التاريخية بل وصل الى درجة احتقاره لأصوله الشرقية، حيث ننقل عنه قوله في كتابه "اليوم والغد" ما يلي: «فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأني غريب عنه، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأني منها».

ويعد المفكر محمد اركون من المتأثرين بالفكر الاستشراقي وهو من المفكرين المتنورين الذين ينتقدون الفكر الاسلامي والمفكرين القدامى الذين ارسوا قواعد الفكر

الاسلامي، ومنهم أيضا جورجى زيدان الذى يمكن أن نلمس تأثير الاستشراق فى كتابه تاريخ التمدن الاسلامى فقد أشاد بالمستشرقين كثيرا فى كتبه ويتبنى آراءهم، فنجده ينظر إلى الأمويين على أنهم اغتصبوا الخلافة من أصحابها آل البيت، وأن معاوية رضى الله عنه نال الخلافة بالدهاء والتدبير وطلبها كأصحاب المطامع بلا علاقة بالدين.

ويرى كذلك أن عبد الملك بن مروان كان يتظاهر قبل خلافته بالتدين فلما تولاهما استهوته الدنيا، وقد ملأ كتابه بالشبهات والمزاعم الباطلة، كاستباحة جند الحجاج الكعبة وقتلهم الناس بعد قتل ابن الزبير - رضى الله عنهما، وأن جند يزيد لما دخلوا المدينة استباحوا دماء أهلها والقرآن تحت أرجلهم، ويتحدث عن الوليد بن يزيد بأنه سكير بنى أمية، وأنه كان يرمى المصحف بالنبل والقوس، وقد كان معتمدا فى ذلك على روايات العقد الفريد لابن عبد ربه والأغانى للأصفهاني وتاريخ المسعودي المتشيع.

وهناك الكثير من المفكرين ورجال الاعلام والادباء العرب الذين تأثروا بشكل كبير بالمستشرقين فأصبحوا ينتقدون الاسلام ويطعنون فى الصحابة ويتشككون فى كتب الحديث والفقهاء، ومن هؤلاء الكاتب والاعلامى المصرى ابراهيم عيسى الذى ألف كتاب "القتلة الأوائل" ينتقد فيه ويطعن فى الصحابة ويتهم عليهم واصفا إياهم بالقتلة، ومنهم أيضا ابراهيم اليازجى فى كتابه "حضارة الاسلام فى السلام"، وفيليب حتى فى كتابه "تاريخ العرب المطول".

وقد اشار مالك بن نبي الى هؤلاء المتعلمين على يد المستشرقين بقوله انهم يخفون عملهم التخريبي ضد الاسلام بإيعاز واضح من أوساط استعمارية، تحت رداء تقديمية جوفاء تحاول سلب الاسلام من كل قيم حضارية، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة فى العالم الاسلامى.

ويلخص المفكر العظيم دور المستشرقين بان الانتاج الاستشراقي بكلا نوعيه (المادحين والمنتقدين) كان شرا على المجتمع الاسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح الذي حول تأملاتنا عن واقعنا الحاضر وغمسنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، او في صورة التقنيد والاقلال من شأننا والذي جعلنا في وضع المدافعين عن مجتمع منهار، بينما كان من واجبنا ان نقف منه عن بصيرة طبعا ولكن دون هوادة، لا نراعي في ذلك سوى الحقيقة الاسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نعطي لغيرنا حق الدفاع عن حضارتنا لان دفاعه عنها انما هو حاجة في نفس يعقوب.